



المجلة العلمية الإسلامية



Journal of Islamic Scientific Research
(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمك النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمك النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 86 – أكتوبر 2026

Volume 23 – issue 86 – October 2026

الصفحات 209 - 237 237 - 209

التأصيل اللغوي والقرآني للخوف وعلاقته بخوف الأنبياء (عليهم السلام)

The Linguistic and Qur'anic Foundations of Fear and Their Relationship to the
Fear Experienced by the Prophets (Peace Be Upon Them)

DOI: <https://doi.org/10.55625/joizr-8609>

دعاء سلام راجي الكلابي

Doaa Salam Raji Al-Kalabi

مدرس مساعد

Assistant Lecturer

Email: Salamdoaa07@gmail.com

تاريخ الاستلام – 2026/08/01

تاريخ القبول – 2026/08/14

جميع الأبحاث / الأعداد المنشورة متوفرة على موقع المجلة الرسمي www.joizr.com

عكار، شمال لبنان، ص.ب. طرابلس 208 جوال 0096178963362 - فاكس 009616471788 - بريد إلكتروني: editor@joizr.com

الباحثة: دعاء سلام راجي الكلابي

مدرس مساعد

Researcher: Doaa Salam Raji Al-Kalabi

Assistant Lecturer

Email: salamdoaa07@gmail.com

التأصيل اللغوي والقرآني للخوف وعلاقته بخوف الأنبياء
(عليهم السلام)

The Linguistic and Qur'anic Foundations of Fear and Their Relationship to the Fear Experienced by the Prophets (Peace Be Upon Them)

DOI: <https://doi.org/10.55625/joisr-8609>

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٨/١ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٨/١٤

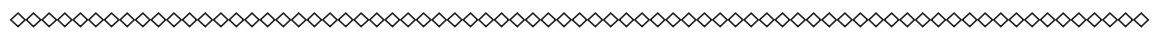
المُلخَص

يعالج هذا البحث مفهوم الخوف في القرآن الكريم من خلال تأصيله اللغوي والاصطلاحي، وبيان أنماطه ودلالاته في السياق القرآني، مع دراسة نماذج من خوف الأنبياء عليهم السلام، ويركز على بيان كيفية عرض القرآن الكريم للخوف في حياتهم مع الحفاظ على تنزيههم وسلامة مقامهم، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي مدعوماً بالمنهج الدلالي، وانتظم في مبحثين: الأول في التأصيل اللغوي والقرآني للخوف، والثاني في عرض نماذج من خوف الأنبياء (عليهم السلام)، لا سيما الأنبياء إبراهيم وزكريا وموسى (عليهم السلام)، إذ أظهرت النتائج أن الخوف في القرآن الكريم مفهوم متدرج الدلالة لا يتنافى مع مقام الأنبياء، بل بالعكس يُظهر بُعداً إنسانياً منضبطاً ويؤدي دوراً تربوياً في بناء الإيمان ويبرز التوازن بين بشرية الأنبياء وكمال توكلهم ودائماً ما يُقرن بالأمن.

الكلمات المفتاحية: التأصيل اللغوي، التأصيل القرآني، الخوف في القرآن الكريم، خوف الأنبياء (عليهم السلام)، الدلالة القرآنية.

Abstract

This research addresses the concept of fear in the Qur’anic context by presenting its linguistic and terminological foundations, its patterns and



meanings in the Qur'anic context, and examples from the fear of the prophets (peace be upon them), It uses a descriptive analytical method supported by a semantic approach and is organized into two sections: the first on the linguistic and Qur'anic foundation of fear, and the second on models of fear among the prophets, especially Abraham, Zechariah, and Moses (peace be upon them). The results show that fear in the Qur'an is a graded concept that does not conflict with the status of the prophets, but rather reveals a controlled human dimension, plays an educational role in building faith, and highlights the balance between their human nature and the perfection of their reliance on God, with fear always linked to security.

Keywords: Linguistic foundation, Qur'anic foundation, fear in the Qur'an, fear of the prophets, Qur'anic meaning.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أرسل الأنبياء والمرسلين هداة للناس ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يحظى موضوع الخوف بمكانة مهمة في البناء النفسي والروحي للإنسان، بوصفه انفعالا فطريا ملازما للطبيعة البشرية، تتعدد دلالاته تبعاً للسياقات التي يرد فيها.

وقد تناول القرآن الكريم هذا المفهوم ضمن إطار أوسع، بوصفه حالة إنسانية عامة فلم يستثن من ذلك صفوة خلق الله من الأنبياء عليهم السلام، حيث أثبت لهم الخوف في مواضع عدة، دون أن يُعد ذلك قدحاً في مقامهم أو مساساً بعصمتهم، بل جاء ضمن سياق قرآني دقيق يُبرز بشريتهم، وتمحيص إيمانهم عبر محطات الشدة والابتلاء وكمال توكلهم على الله تعالى.

ولا يمكن فهم ظاهرة الخوف في السياق القرآني، ولا سيما في حياة الأنبياء عليهم السلام، دون الرجوع إلى تأصيله اللغوي ودلالاته الاصطلاحية ثم تتبّع أنماطه ومراتبه في القرآن الكريم. إذ إن إغفال الفروق بين دلالاته المختلفة قد يؤدي إلى إشكالات تفسيرية عندما يُعامل لفظ «الخوف» في القرآن الكريم معاملة المعنى الواحد مع أنه يتنوع بين الخوف من الله، والخوف من الناس والخوف من نفس المكروه والخوف من العاقبة، وغيرها من الاستعمالات.

أهمية الموضوع

ومن هنا تتبع أهمية هذا البحث من تقديم تأصيل لغوي لمفهوم الخوف، والكشف عن دلالاته في القرآن الكريم، بما يُبين تعدد معانيه ومراتبه، ويربط ذلك بنماذج خوف الأنبياء (عليهم السلام) بوصفها ميداناً بارزاً لتجلي هذا المفهوم في سياقه الإيماني والإنساني، بما يسهم في

بيان دلالاته، وإزالة ما قد يثار حوله من إشكالات في فهم مقام النبوة.

أسباب اختيار الموضوع

جاء اختيار هذا الموضوع لما يحظى به مفهوم الخوف من حضور واضح في القرآن الكريم، وتعدد دلالاته تبعاً لاختلاف السياقات التي ورد فيها، لا سيّما في الآيات المتعلقة بالأنبياء (عليهم السلام)، كما أن نسبة الخوف إليهم قد تُفهم على غير مرادها إذا لم تُدرس في ضوء الاستعمال القرآني ودلالاته اللغوية، الأمر الذي يقتضي تأصيل هذا المفهوم وبيان أنواعه ومراتبه، وبيان دلالاته في الاستعمال القرآني، بما يسهم في إزالة الإشكال في فهم خوف الأنبياء (عليهم السلام)، وبيان انسجامه مع مقام النبوة وكمال التوكل على الله تعالى.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي:

كيف عرض القرآن الكريم مفهوم الخوف في حياة الأنبياء (عليهم السلام) بما يحفظ مقام النبوة وسلامة العقيدة؟

ويتفرّع عن هذا السؤال الرئيس عدد من الاسئلة الفرعية:

- ١- ما الدلالات التي يحملها مفهوم الخوف في السياق القرآني؟
- ٢- هل يمثل الخوف الوارد في حياة الأنبياء (عليهم السلام) حالة بشرية لا تتعارض مع العصمة، أم يحمل دلالات إيمانية وتربوية تتجاوز المعنى الانفعالي وحده؟
- ٣- ما أثر التأصيل اللغوي والقرآني لمفهوم الخوف في فهم هذه الدلالات وتحريرها بعيداً عن الإشكالات التي قد تنشأ من عدم التمييز بين استعمال الخوف في القرآن الكريم؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- ١- بيان التأصيل اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الخوف.
- ٢- بيان دلالات الخوف وأنماطه في القرآن الكريم.
- ٣- دراسة نماذج من خوف بعض أنبياء الله، كإبراهيم وزكريا وموسى (عليهم السلام) في ضوء السياق القرآني.
- ٤- بيان أن الخوف الوارد في حياة الأنبياء لا يتعارض مع مقام النبوة ولا ينافي العصمة.
- ٥- إبراز الأبعاد الإيمانية والتربوية التي عرضها القرآن الكريم لمفهوم الخوف.

الدراسات السابقة

من أبرز الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث دراسة خولة توفيق السكني الموسومة: (دوال



الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية) التي تناولت الألفاظ الدالة على الخوف في القرآن الكريم وبيان دلالاتها الأسلوبية والفروق بينها في ضوء السياق القرآني، وانتهت إلى أنَّ التعبير القرآني يختار ألفاظ الخوف بدقة تتناسب مع المقام والسياق، إلا أنَّ الدراسة اقتصرَت على الجانب الأسلوبي، ولم تتناول خوف الأنبياء (عليهم السلام) بوصفه مجالاً تطبيقياً مستقلاً.

كما تناولت دراسة عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني ونور نظام الدين الكيلاني الموسومة: (أسباب الخوف في الدنيا: دراسة قرآنية تأصيلية) أسباب الخوف في القرآن الكريم وآثاره، مع بيان أبرز الألفاظ المرتبطة به، وانتهت الدراسة إلى أنَّ الخوف يرتبط بحكمة الابتلاء والتوجيه الإلهي، غير أنَّها ركَّزت على أسباب الخوف وآثاره العامة، ولم تتجه إلى نماذج خوف الأنبياء (عليهم السلام) وتحليل دلالاته في السياق القرآني.

أما دراسة هاجر تشلييك في دراستها الموسومة: (مفهوم الخوف والخشية في القرآن الكريم وأنواعه وتأثيره على الإنسان) فقد تناولت مفهوم الخوف والخشية، وبيان أنواعهما وآثارهما في ضوء القرآن الكريم، وانتهت إلى بيان أثرهما في تهذيب سلوك الإنسان وتقويمه، إلا أنَّ الدراسة اتجهت إلى الجانب المفاهيمي العام، ولم تجمع بين التأصيل اللغوي والقرآني لمفهوم الخوف، ولم تخصص جانباً لدراسة نماذج خوف الأنبياء (عليهم السلام).

أما البحث الحالي فيتميز عن هذه الدراسات السابقة بجمعه بين التأصيل اللغوي والقرآني لمفهوم الخوف وربط ذلك بدراسة نماذج من خوف الأنبياء (عليهم السلام) مع بيان دلالاتها في ضوء السياق القرآني، وبيان انسجامها مع مقام النبوة بما يحقق معالجة تجمع بين الجانب اللغوي والدلالي والتطبيقي.

منهج البحث

اعتمد البحث المنهجين الوصفي التحليلي والدلالي، في دراسة مفهوم الخوف من خلال تتبع مواضعه في القرآن الكريم، وتحليل دلالاته في ضوء السياق القرآني، وبيان الفروق بين ألفاظ الخوف والألفاظ المقاربة له، والكشف عن دلالاتها اللغوية والقرآنية، وتطبيق ذلك على نماذج من خوف بعض أنبياء الله (عليهم السلام)، وصولاً إلى بيان أبعادها العقديَّة والتربويَّة.

إجراءات البحث

اقتضت طبيعة البحث البدء بالتأصيل اللغوي والقرآني لمفهوم الخوف، ثم بيان دلالاته وأنماطه في القرآن الكريم، مع تتبع الألفاظ المقاربة له وبيان الفروق بينها، ثمَّ دراسة نماذج من خوف الأنبياء (عليهم السلام) لا سيَّما إبراهيم وموسى (عليهما السلام) بالرجوع إلى كتب التفسير والمعاجم اللغوية وتحليل النصوص القرآنية في ضوء سياقاتها، للوصول إلى بيان الدلالات العقديَّة والتربويَّة التي عرضها القرآن الكريم لهذا المفهوم.



أما خطة البحث: فقد انتظمت في مبحثين رئيسيين، تسبقهما مقدمة، وتليهما خاتمة وتوصيات، فثبتت بأهم المصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: التأصيل اللغوي والاصطلاحي للخوف، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الخوف في اللغة والألفاظ المقاربة له.

المطلب الثاني: الخوف وأنماطه في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نماذج من خوف الأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم، ويشتمل على

ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خوف النبي إبراهيم (عليه السلام).

المطلب الثاني: خوف النبي زكريا (عليه السلام).

المطلب الثالث: خوف النبي موسى (عليه السلام).

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج

التوصيات

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التأصيل اللغوي والاصطلاحي للخوف

المطلب الأول: الخوف في اللغة والألفاظ المقاربة له (الخشية- الرهبة - الوجل -
الأشفاق - الفزع - الفرق).

أولاً: الخوف في اللغة

يمثل التأصيل اللغوي لمفهوم الخوف منطلقاً منهجياً ضرورياً لفهم استعمالاته قرآنياً، خصوصاً في سياق إسناده إلى الأنبياء عليهم السلام، إذ تنشأ كثير من الإشكاليات التفسيرية نتيجة عدم التمييز بين الدلالات اللغوية المتقاربة، ظناً أنها مترادفة، مع أنها في الحقيقة تحمل فروقاً دقيقة في شدتها وأسبابها وآثارها.

وللوقوف على الجذر اللغوي لمفهوم الخوف، نصّ ابن فارس في معجمه على أن مادة (خوف) ترجع إلى أصل دلالي واحد فقال: «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة»^(١)، كما جاء في القاموس المحيط «خاف يخاف خوفاً وخيفاً ومخافة وخيفة بالكسر، وأصلها خوفاً وجمعها خيف: فزع، وهم خوف وخيف»^(٢)، وقد حدد الراغب الأصفهاني المعنى الاستعمالي للخوف من زاوية دلالية أوسع، فبيّن أنه يقوم على «توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة»^(٣).

وفهم الخوف في الاستعمال اللغوي العام، كما أورده ابن منظور بأنه يرتبط بحالة من «الفزع»^(٤) وهو توصيف يُحيل إلى انفعال نفسي يتولد من توقع المكروه أو استشعار خطر محتمل، ما يبعث على القلق أو الضرر.

وانطلاقاً من الدلالات اللغوية المتقدمة، يتبيّن أن مفهوم الخوف في أصله يرتبط بحالة وعي داخلي مبكر تتجلى في اضطراب النفس وخفوق القلب وانزعاجه عند توقع المكروه قبل وقوعه، الأمر الذي يكشف عن كونه استجابة إدراكية تسبق تحقق الحدث المتوقع، لا مجرد تأثر نفسي لاحق بوقوعه^(٥)، وقد وردت مادة (خوف) ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وأربعة وعشرين مرة^(٦)، منها جاءت بصيغة الفعل، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)،

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ج ٢، ص ٢٣٠.

(٢) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مادة (خوف)، ص ٨٠٩.

(٣) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ، ص ٣٠٣.

(٤) محمد بن مكرم بن علي الأفريقي ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، مادة (خوف)، ج ٩، ص ٩٩.

(٥) زيادة من الباحث اقتضاها المعنى.

(٦) عبد الباقي، محمد فؤاد، عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مادة (خوف)، ص ٣١٣-٣١٥.

ومنها بصيغة الاسم كقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: ٣٨).

ويلاحظ قرن لفظ الخوف في مواضع كثيرة ب (لا) الناهية كقوله تعالى ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥)، وب (لا) النافية، كقوله تعالى ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢) وغيرها، مما يكشف عن حضور هذا المفهوم في الخطاب القرآني بوصفه من المفاهيم المركزية المرتبطة بتوجيه السلوك الإنساني وتنظيم الوعي بالتقوى.

وبناءً على ما تقدم من التأصيل اللغوي لمفهوم الخوف، يقتضي البحث الانتقال إلى معرفة دلالاته الاصطلاحية في الاستعمال القرآني، إذ لم يعد الخوف مقتصرًا على كونه حالة انفعالية نفسية مجردة، بل يتحول إلى مفهوم عقدي وسلوكي، يسهم في تنظيم وعي الإنسان بعلاقته بالله سبحانه وتعالى ويوجّه سلوكه في تجنب المكروه واتقاء الضرر.

ثانيًا: الخوف في الاصطلاح

يمثل مفهوم الخوف في الاصطلاح امتداداً للدلالة اللغوية العامة، إلا أنه اكتسب بعداً معرفياً وسلوكياً أعمق في استعمالات العلماء والمفسرين، إذ عرّفه الراغب الأصفهاني بأنه: «توقع مكروهٍ عن أمارَةٍ مظنونَةٍ أو معلومة»^(١)، وهو تعريف يربط الخوف بحالة وعي إدراكي قائم على استشعار النتائج المحتملة قبل وقوعها.

كما عرّفه الشريف الجرجاني بأنه «توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب»^(٢)، وهو تعريف يبيّن أن الخوف في الاستعمال الاصطلاح يتجاوز البعد الانفعالي النفسي ووقوعه، وقد حدّد أبو حامد الغزالي الخوف بأنه «تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال»^(٣).

ويتضح من مجموع التعريفات الاصطلاحية السابقة أن الخوف لا يقتصر على كونه انفعالاً نفسياً طارئاً بل يُعد حالة شعورية إدراكية تسهم في توجيه سلوك الإنسان واستحضار نتائج أفعاله، الأمر الذي يُمهّد لدراسة دلالاته في السياق القرآني، وبالأخص في قصة النبي موسى عليه السلام.

ثالثاً: الألفاظ المقاربة للخوف

بعد الانتهاء من بيان التأصيل اللغوي والاصطلاح لمفهوم الخوف، يتجه البحث إلى تتبّع الألفاظ المقاربة له في السياق القرآني، تلك الألفاظ التي تستعمل مع الخوف ولا ترادفه، وإنما تبين درجات ومراتب شعورية متفاوتة، وتجسّد نسقاً دلاليّاً متصاعداً، في تصوير حالات الخوف

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٠٢.

(٢) علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ١، ص ١٠١.

(٣) محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط ١، دار ابن حزم - بيروت - لبنان (١٤٢٦-٢٠٠٥ م)، ج ٤، ص ١٨٥.

في القرآن الكريم.

ولتعدد الألفاظ العربية الدالة على معنى الخوف وتباين استخداماتها في الخطاب اللغوي والقرآني، فقد أشار الهمداني في كتابه الألفاظ الكتابية إلى كثرة أجناس الخوف وتفرع دلالاتها فذكر منها «الرعب، الذعر، الخيفة، المخافة، الروع، المهابة»^(١)، وغيرها، مما يدل على سعة الحقل الدلالي لهذا المفهوم وتعدد مراتبه الشعورية.

إلا أن البحث لا يستهدف استقصاء جميع هذه الألفاظ، وإنما يقتصر على الألفاظ الواردة في سياق قصة النبي موسى (عليه السلام) خاصة، كالخشية والرهبة والوجل والاشفاق والفرع والفرق، لما تحمله من فروق معنوية دقيقة تكشف عن تنوع درجات الخوف في التعبير القرآني، بوصفها تمثل الإطار التطبيقي للدراسة، تحقيقاً للانسجام المنهجي بين التأصيل النظري وموضوع البحث.

وعليه ينتقل البحث إلى بيان أبرز الألفاظ المقاربة للخوف في الاستعمال القرآني مع تعريفها وتحليلها مع بيان خصوصيتها الدلالية، وذلك على النحو الآتي:

١ - **الخشية لغة** : قال ابن فارس، «الخاء والشين والحرف المعتل يدل على الخوف وذعر»^(٢) وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور «الخشية: هي الخوف، يقال: خشي الرجل يخشى خشية أي خاف»^(٣)، أي أن الخشية مرادفة لفظية للخوف في الاستعمال القرآني بدلالة معينة.

واصطلاحاً : عرّفها الراغب الأصفهاني بأنها «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه»^(٤)، وقد توسع أغلب المفسرون وبعض علماء اللغة في بيان مفهوم الخشية، فقالوا أنها: «تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجنابة من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل»^(٥)، وأصل الخشية خوف ناشئ من تعظيم ولذلك أخص بها العلماء^(٦) في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر: ٢٨)، وقد قال الزمخشري في تفسير الآية: «ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه أقل كان آمناً»^(٧).

وهو تفسير يبين أن الخشية ترتبط بالعلم والتفكير في عظمة الله ومقامه، لا مجرد

(١) عبد الرحمن بن عيسى الهمداني، الألفاظ الكتابية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٥م، ص ٧١.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (خشي)، ج ١، ص ١٨٤.

(٣) ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة (خاء) ج ٥، ص ٧٧.

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (خشي)، ص ٢٨٣.

(٥) الشريف الجرجاني، التعريفات، ج ١، ص ٩٨.

(٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٢٨٣.

(٧) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٣٠٧.

الاضطراب العاطفي.

وقد أكد أغلب علماء اللغة هذا المعنى، إذ جاء في قول أحدهم عند تعريفه لها «أن الخشية أخص من الخوف المقرون بمعرفة»^(١)، ومن ثم تُعد الخشية بمعنى الخوف، لكنها أخص دلالة لأن تحققها متوقف على إدراك عظمة المخشي، بدليل قرآني، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (البقرة: ١٥٠) وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾ (المائدة: ٤٤) خوف مقرون بالمعرفة، بخلاف الخوف الذي قد ينشأ عن مجرد الإحساس أو توقع الضرر دون علم تام به، ولذلك نفى القرآن الكريم الخشية عن غير الله في حق الأنبياء، في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٩)، في حين أثبت لهم الخوف في مواضع أخرى، كما في قوله تعالى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (سورة طه: ٦٧)، وقد ورد لفظ الخشية ومشتقاتها في القرآن الكريم، نحو ثمانية وأربعين مرة^(٢)، وغالباً بصيغة الفعل، كما في قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (سورة طه: ٤٤)، كما ورد بصيغة الاسم في مواضع أقل، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ (سورة الإسراء: ٣١)، وهو ما يؤكد كون الخشية أخص من مطلق الخوف لارتباطها بالعلم والإدراك.

٢- الرهبة لغة: الرهبة هي الخوف، يقال: رَهْبَةً وَرُهْباً، وَرَجُلٌ رَهْبُوتٌ، أي: مرهوب، ويقال: رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمُوتٍ، أي: أن ترهب خير من أن تُرحم^(٣)

واصطلاحاً: عرّف ابن القيم الرهبة بأنها الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه^(٤) وقد عرّفها الراغب الأصفهاني بأنها مخافة مع تحرز واضطراب^(٥)، والصلة بين الخوف والرهبة، قال أبو الهلال العسكري «الرّهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب راهب؛ لأنه يديم الخوف»^(٦)، وقد وردت مادة «رهب» ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة^(٧)، وقد جاءت على صيغ متعددة؛ منها ما ورد بصيغة الفعل، منها قوله تعالى ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٤)، وقد وردت هذه الصيغة في خمسة مواضع، ومنها ما جاء بصيغة الاسم، كقوله تعالى ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٥٤٥.

(٢) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ٢٩٦-٢٩٧.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ج ١، ص ١٤٠.

(٤) محمد أبو بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٥٠٨.

(٥) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (رهب)، ج ١، ص ٣٦٦.

(٦) الحسن بن عبد الله العسكري أبي هلال، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط ١، دار العلم، القاهرة ٢٠١٤ م، ص ٢٤١.

(٧) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، مادة (رهب)، ص ٤١٣.

ينال الإنسان، ومن ثم يقال أشفقت الأم على ولدها، أي: رقت له، وهي ليست من جنس الخشية أو الخوف في شيء، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ٥٧).

ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقال ذلك، كما لا يحسن أن يقول يخشون من خشية ربهم^(١)، إذ يؤدي ذلك إلى التكرار غير المطلوب دلاليًا، ومن ثم الإشفاق أبلغ دلالة في سياق الخوف بل هو أعلى درجاته لما يقترن به من رقة كبيرة وعناية ونصح للمشفق عليه، مع ما يرافقه من توقع وحذر.

٥- الفزع لغة: قال ابن فارس في مادة الفزع «الفاء والزاي والعين أصلان صحيحان أحدهما الذعر، والآخر الإغاثة»^(٢)، ويقال: «فزع منه وفزع فزعا وفزعا وفزعه: أخافه وروعه فهو فزع»^(٣)، ويُنَّ الراغب الأصفهاني معنى الفزع بقوله: «انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع»^(٤)، وقد وردت مادة (فزع) ومشتقاتها في القرآن الكريم ست مرات^(٥)، ويُفهم من هذا التعريف أن الفزع هو حالة خوف شديد يصيب الإنسان عند حدوث أمر مفاجئ ومخيف، فيؤثر في حالته النفسية، ويتسبب في اضطرابها ونفورها.

٦- الفرق: شدة في الخوف والفزع، يقال: فرق فلان إذا جزع واشتد خوفه، وقد وردت مادة (فرق) ومشتقاتها في القرآن الكريم واحداً وسبعين مرة^(٦)، منها جاءت بصيغة الفعل في قوله تعالى في وصف المنافقين ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ (سورة التوبة: ٥٦) والمقصود بالفرق هو الخوف الشديد، بمعنى أنهم قوم متصفون بصفة الجبن في مقابل المؤمنين الذين تتسم صفتهم بالشجاعة والعزة، والذين يفرقون لا يكونون من صفات المؤمنين^(٧)، بل يُعدُّ ذلك سمةً من سمات ضعف النفس والجبن.

ومن خلال هذا النسق الدلالي الذي تشكّله الألفاظ السابقة، يتبين أن التعبير الأدبي، ومن ثم التعبير القرآني يأتي امتداداً لهذا النسق اللغوي، وليست الألفاظ في القرآن الكريم مستعملة على سبيل الترادف، بل توظف للدلالة على مراتب شعورية متدرّجة تختلف باختلاف السياق وطبيعة الحالة النفسية المقصودة.

فتدور الدلالة أولاً بالخشية القائمة على المعرفة وتعظيم الله، ثم الرهبة المصحوبة بالحدز

(١) ينظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، ص ٢٤١.

(٢) ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٥٠١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٥١.

(٤) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (فزع)، ص ٦٣٥.

(٥) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (فزع)، ص ٤٠٩.

(٦) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (فرق)، ص ٦٥٥-٦٥٧.

(٧) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٣٠.

مظاهر الخوف الطبيعي في القرآن الكريم:

١- الخوف الطبيعي بوصفه ترقباً للشر أو المكروه: يظهر الخوف في هذا المظهر ترقباً للخطر، قال تعالى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (سورة القصص: ٢١)، فعل خروج النبي موسى (عليه السلام) فالخوف بوصفه توتر النفس في مواجهة الخطر عندما وصل النبي موسى إلى شعيب عليهما السلام وقص عليه القصة، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: ٢٥)، فسر ذلك بأن النبي موسى (عليه السلام) في بلد آمن لا سلطان لفرعون عليه، وقد نجاه الله من كيد المجرمين^(١)، فيُظهر أن الخوف في هذا الموضع ليس مجرد انفعال نفسي طارئ بل حالة وعي بالمخاطر المحيطة تتسم بالتأهب والتجاء إلى الله تعالى، وتتسجم مع طبيعة الإنسان الواقع في مواجهة الظلم، وفي مسار الرسالة في بيئة مخيفة.

٢- الخوف عند مواجهة المجهول أو الأمر الم هول: يُذكر أن النبي موسى عليه السلام عندما رأى حدثاً مهولاً، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (سورة طه: ٦٧) فكان خوفه خوفاً طبيعياً مما طبع عليه الإنسان من ضعف القلب، مع علمه بأن الله ناصر^(٢)، كان خوفه (عليه السلام) بمقتضى طبع الجبلية البشرية عند رؤية الأمر الم هول^(٣)، وكذلك في قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) حين قرب الطعام لضيوفه من الملائكة ولم تمدد أيديهم إليه، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة الذاريات: ٢٨) وهذا النوع من الخوف طبيعياً وناشئاً عن مفاجأة المجهول، وهو من مقتضيات الطبيعة البشرية يُرفع بسرعة بالطمأنينة الإلهية الواردة في السياق القرآني.

٣- الخوف من القتل أو أذى العدو: قال تعالى ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (سورة الشعراء: ١٤) و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (سورة القصص: ٢٣) وفي قول موسى وهارون عليها السلام ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (سورة طه: ٤٥)، أي: «يا ربنا إننا نخاف إن دعونا إلى الإيمان أن يعجل علينا العقوبة أو يجاوز الحد في الاساءة إلينا»^(٤)، وهذا يُظهر أن الخوف في مواجهة الطغيان خوفٌ طبيعي مشروع يتبعه الخطاب الإلهي مباشرة ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (سورة طه: ٤٦)، «أي لا تخافا من سطوته إنني معكما بالنصرة والعون أسمع جوابه لكما وأرى ما يفعل بكما»^(٥)، فيُظهر

(١) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٤٣١.

(٢) محمد بن عمر بن الحسين الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٢٢، ص ٧٤.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٩.

(٤) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٦.

(٥) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٦.



فإن الخوف من مقامه تعالى خوف خاص ليس له الصادر والخاطر وهو الخوف من عظمة الله تعالى على عبده لا يخافون الله تعالى لمجرد العقاب وإنما يخافون مقامه^(١)، وقد يذكر الله تعالى من خافه مقامه بين يديه يوم القيامة فقال ﴿وَلَنُنَسِّكَنَّهُمُ الْأَرْضَ ذَلِكُمْ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَشِيَ وَعِيدِي﴾ (سورة إبراهيم: ١٤) وقد فسر أغلب أهل العلم أن المراد بـ«من خاف مقامي» هو من خاف قيامي عليه ومراقبتي له ذلك لمن خاف عذابي وخاف وعيدي أي القرآن وزواجه^(٢)، له النصر والتمكين في الأرض ويُعطيه جنتين في الآخرة، مما يُظهر أن الخوف من مقامه تعالى هو خوف تقوا بما أنه الله القائم بأمر عباده وحذرهم من مخالفة أمره بلسان أنبيائه ورسله حتى يعود مساره إلى التقوى^(٣)، ومن الخوف المذكور في القرآن الكريم أيضاً الخوف من العقاب، وهو ما يُظهر في قوله تعالى ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (سورة الرعد: ٢١) وغيرها من الآيات التي تذكر فيها خوف عذاب وخوف سوء حساب، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الأنعام: ١٥) وهو خوف مشروع ينضبط بمقام الإيمان وينتهي بحسن التوبة و«أن الخوف من الله يُشكل المنهج الكامل للبشرية»^(٤) وقوله تعالى ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ (سورة البقرة: ٤٠)، «الرهبه» هي الخوف أما من عقاب الله وهو نصيب أهل الظاهر وأما من الإجلال وهو وظيفة أرباب القلوب والأول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس، يروى أنه ينادي مناد يوم القيامة: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، من أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة^(٥)، ويبين القرآن الكريم أن الخوف من الله تعالى ينضبط بنوعيه، فيقول ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٥)، الإيمان بالله والخوف من غيره لا يجتمعان وهذا كقوله تعالى ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (سورة الجن: ١٢) فَيُبَيِّنُ أن الخوف من غير الله دليل على نقصان إيمانية وتأثره بالسوساس الشيطانية لأننا نعلم لا ملجأ ولا مؤثر في هذا الكون العريض سوى الله ولا س لأحد قدرة في مقابل قدرته^(٦).

بهذا يظهر أن الخوف من المولى بوصفه التقوى هو المنهج الكامل للبشرية، فإنه يُوجه الخوف إلى مطلق قدرته ورحمته، ويُزيل الخوف من المخلوق ويرفع المؤمن إلى مقام الرقابة

(١) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن ومحمد رضوان وخالد العواد ومحمد معتز كريم، مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)، ج ١٢، ص ١١٦-١١٧.

(٣) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٣٢.

(٤) ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ط ١ (١٤٢٨ هـ - ٢٠١٣ م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص ١٢٧.

(٥) نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٢٧٢.

(٦) ناصر مكارم الشيرازي، الأمل في تفسير الله المنزل، ص ٢، ٤٢١.

والوقار، فيبقى في حالة بين الوجل والرجاء، حتى ينال الأمن في الدارين.

النمط الثالث: الخوف العرضي الطارئ: بأنه خوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، ينشأ عن توقع أمور مستقبلية كعدم قبول العمل أو سوء الخاتمة، وهو خوف قلبي باطني يختلف باختلاف درجات الإيمان، وقد يكون محموداً إن أدى إلى صلاح ومذموماً أن أدى إلى اليأس والقنوط^(١).

وقد ورد الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: ﴿المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف^(٢)، وهو نص يُظهر أن هذا الخوف متجذر في ضمير المؤمن إذ يرتبط بمراجعة الذنب الماضي، ومراعاة المستقبل فيتحول إلى حالة ملازمة للإيمان ما دام منضبطاً ولم يتحول إلى حالة يأس أو قنوط.

وفي هذا السياق أشار الشوكاني إلى أن القلوب خافت وحذرت مخافته لأنهم إلى ربهم راجعون مبيناً أن حصول الوجل دليل على كمال اليقين وقوة الإيمان، وأنه علامة على إتمام العبودية على أكمل وجه^(٣) كما ذهب الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ (سورة المؤمنون: ٦٠) الذين يعملون الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وصدقة وهم مع ذلك خائفون ألا تقبل منهم^(٤) وذهب الطبرسي إلى المعنى نفسه في تفسير قوله تعالى، أي أنهم يعطون الشيء ويشفقون ألا تقبل منهم أعمالهم يخافونه ويخافون لقاء الله^(٥).

وعليه، فإن ما قرره الطبري والطبرسي من تفسير الآية، يدل على أن هذا الخوف هو خوف المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهم مع ذلك يخافون من عدم قبول عملهم، وهو ما يجعله من قبيل الخوف العرضي الطارئ لأنه لا ينشأ عن واقع حاضر بل عن تصور مستقبل محتمل.

كما يشير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة الأنفال: ٢) إلى أن قلوب المؤمنين إذا ذكر الله خافت وارتعشت من هيئته كأنها بين يديه واقفة، ولجلاله وعظمته مشهودة فيصبرون في السراء والضراء على الأمراض والمصائب والمحن وسائر المكاره^(٦).

وبهذا يتبين أن الخوف العرضي الطارئ هو خوف قلبي غير دائم، ينشأ عن توقع مكروه

(١) ينظر: محمد بن محمد الغزالي، ص ١٥٠٥-١٥٠٧.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي (باب الخوف والرجاء)، ط ١ (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م) منشورات الفجر، بيروت-لبنان، ج ٢، ص ٤٥.

(٣) ينظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٦٤١.

(٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ١٧، ص ٧١.

(٥) الفضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، دار المرتضى بيروت، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٦) ينظر: محمد علي، صفوة التفاسير، ج ٢، ص ٢٨٩.



مستقبل، كالخوف من عدم قبول العمل أو سوء الخاتمة، محمودٌ إذا حمل على صلاح القلب ومراعاة العمل، ومذموم إذا أدى إلى يأس أو قنوط، وهو غير لازم لكل لحظة في حياة الإنسان، لكنه حالة مُمكنة ومتكررة في حياة المؤمن ترتبط بيقظة القلب ومراقبة العمل والحساب.

المبحث الثاني: نماذج من خوف الأنبياء في القرآن الكريم (إبراهيم، زكريا، موسى) عليهم السلام

على الرغم من علو مقام الأنبياء عليهم السلام في التوكل والإيمان، يثبت القرآن الكريم لهم بعض مظاهر الخوف بوصفها مواقف بشرية طبيعية لا تتال من عصمتهم، بل تُظهر تفاعلهم مع أحداث الدعوة وظروفها وتتنوع هذه الصور في القصص القرآني، كما في خوف النبي إبراهيم، والنبي زكريا، ثم النبي موسى (عليهم السلام) بما يكشف عن البعد الإنساني في شخصيتهم، ويؤكد أن هذا الخوف لا يقدر في مقام النبوة، وإنما يندرج في إطار التربية الروحية والتوجيه العقدي، إذ يندرج تحته عدة مطالب، وفق الآتي:

المطلب الأول نموذج خوف النبي إبراهيم عليه السلام

النبي إبراهيم عليه السلام أحد أولي العزم الذين آتاهم الكتاب والشرعة من الرسل وأبوع الأنبياء، وقد ذكره القرآن الكريم في خمس وعشرين سورة^(١)، وسمى سورة كاملة باسمه، وتعد قصته بمشاهدتها المختلفة ثاني أطول وأوسع قصة في القرآن الكريم بعد قصة النبي موسى عليه السلام.

لقد ذكر القرآن الكريم خوف إبراهيم عليه السلام في سياقين مختلفين: خوفه من ضيوفه الذين هم ملائكة وخوفه على نفسه من قومه الكافرين، ويظهر القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام، رغم ثباته العميق في التوحيد، لم يخل من لحظات خوفٍ نفسية، خصوصاً في مواجهة قوم عنيدٍ يقاوم الدعوة، ويخشون أن يهدد ذلك مكنونهم الروحي والنفسي، ومن هنا يمكن فهم خوفه الذي تجلى في قصة النبي إبراهيم عليه السلام في صور متعددة:

١ - خوف النبي إبراهيم عليه السلام من الضيوف (الملائكة)، قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى أَنِّي يُدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (سورة هود: ٧٠)، وقد بيّن الطباطبائي أن الإيجاس هو الإحساس الخفي الذي يقع في النفس، وقد نشأ هذا الخوف عند إبراهيم عليه السلام نتيجة أمر طارئ ولهذا آمنوه وطيبوا نفسه بقولهم ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾، كما يوضح أن هذا الاستشعار لا يتعارض مع مقام النبوة الملازم للعصمة الإلهية من المعصية، إذ إن مطلق الخوف هو تأثر النفس عند مشاهدة المكروه،

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٧، ص٢٢٨.



وما يدفعها إلى الحذر منه والمبادرة إلى دفعة ليس من الرذائل الخلقية^(١)، بل هو من مقتضيات الجبلة التي فطر الله عليها الإنسان.

وقد أشار الطبرسي إلى أنَّ قوله «نكرهم» يفيد أنَّ إبراهيم عليه السلام استنكر أمر ضيوفه ولم يعرف حقيقتهم، ثم أعقب ذلك بإيجاس الخيفة.

وذكرت بعض التفاسير عدة أسباب لهذا الخوف، منها أنَّهم كانوا شبانا أقوياء متفرقين في أطراف البلد، وامتنعوا عن تناول الطعام، فأحاطه ريبه أن يكون ذلك بلاءً، إذ جرت عادة الناس في ذلك الزمان أن مشاركة الضيف في الطعام علامة على الأمان والاطمئنان، وقيل أيضاً إنه ظنهم لصوصاً يريدون به سوءاً، كما قيل إنه علم أنهم ملائكة فخاف أن يكون قومه مقصودين بالعذاب والهلاك^(٢).

إن هذا الخوف نشأ عن ظرف مفاجئ غير مألوف، ثم زال فور اتضاح الحقيقة وتطمين الملائكة له، بقولهم ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لَّوْطٍ﴾، وقد ورد في تفسير الكاشاني أن قول الملائكة «إنا ملائكة مرسله إليهم بالعذاب، وإنما لم نمد إليه أيدينا لأننا لا نأكل»^(٣)، جاء لبيان حقيقة امتناعهم عن الطعام، ورفع ما كان يوجب الريبة، كما أشار الزمخشري إلى أنَّ قولهم ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾، إنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف وجه إرسالهم، وقيل في تفسير ﴿فَأَوْجَسَ﴾، أي أضمر الخوف في نفسه، ثم أعقب ذلك تطمينهم له بقولهم ﴿لَا تَخَفْ﴾ وذلك لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه، أو عرفهم الله تعالى بحاله، أو لكونهم ملائكة موجبة للخوف، لا ينزلون إلا بعذاب^(٤)، وجاء في موضع آخر في قوله ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة الذاريات: ٢٨)، يذكر العلامة فضل الله نجد النبي إبراهيم (عليه السلام)، يخضع لعنصر الـ فأجاة الغريبة في طبيعة مضمونها الذاتي بطريقة عفوية من خلال الضعف البشري العادي ليعود في لحظة الوعي الشعوري إلى الانفتاح على القدرة الإلهية التي تجعل الأمل حياً حتى في المورد الذي يكون الشيء فيه مستحيلاً عادياً، فلا يستسلم لأي يأس لأن الذين يخضعون للقنوط هم الضالون لا المهتدون فإنهم يقفون مع الله في ما يقوله ويفعله في شؤون عباده من دون أن يكون في ذلك أية منافاة للعصمة وللدرجة العالية في نبوته^(٥).

ومن خلال هذا النموذج يتبين أن الخوف الوارد في قصة النبي إبراهيم عليه السلام كان شعوراً طبيعياً لا يتعارض مع مقام النبوة بل تنسجم مع طبيعة الأحداث التي قد يعرض لها الأنبياء في سياق الدعوة ويظهر كيف يعالج الخوف بالتربية الإلهية، فيتحول من إحساس مزعج إلى مقام

(١) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٣٣.

(٢) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٣) ينظر: محمد بن المرتضى الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٧.

(٤) ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٢، ص ٢١٦.

(٥) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ط ٢، دار الملاك، بيروت - لبنان، ج ٥، ص ٣٦٢.

عنها، ويفسر قوله ﴿وَسَلَامًا﴾ بأنه برد غير ضار، لأن البرد قد يكون مؤذياً، فدفع ذلك بوصف السلام^(١). وأشار الصابوني أيضاً عندما قال لهم إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٥)، أي قبحاً لكم وللأصنام التي عبدتموها من دون الله، ثم قال أفلا تعقلون قبح صنيعكم؟ ثم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب عدلوا إلى البطش والتكيل، ثم ذكر قول المفسرون، لما أرادوا أحراق النبي إبراهيم عليه السلام جمعوا له حطباً مدة شهر حتى كانت المرأة تمرض فتتذرع إن عوفيت أن تحمل حطباً لحرق إبراهيم ثم جعلوه في حفرة من الأرض وأضرموها ناراً فكان لها لهب عظيم حتى أن الطائر ليمر من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرها ثم أوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار فجاء إليه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، فقال جبريل: فأسأل ربك، فقال «حسبي من سؤال علمه بحالي» فقال الله: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، ولم تحرق النار منه سوى وثاقه، حيث كادوا لنبي الله فرد الله كيدهم في نحورهم^(٢).

وهذا يبين لنا أن خوف إبراهيم عليه السلام لم يكن من نتيجة ضعف يقينه بل كان خوفاً طبيعياً من التهديد بالقتل ثم تحول هذا الخوف إلى رحمة في نفسه وإلى توكل على الله عز وجل، فطرح في النار فسلم، كان ذلك من أعظم آيات إيمانه وثباته، ودليلاً على أن الخوف يُسخر لتقوية الإيمان لا لإذهابه.

٣- خوف النبي إبراهيم عليه السلام على دينه وذريته (الدعاء)

لم يكن خوف إبراهيم عليه السلام من قومه خوف ضعف بل كان حذراً على دعوته، وحرصاً على سلامة عقيدته وعقيدة ذريته، ولذلك لجأ إلى الدعاء طالباً الأمن والثبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (سورة إبراهيم: ٣٥)، وقد فسرت الآية بأن معناها: اجعل مكة بلد آمن يأمن أهلها وساكنوه وقوله ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أي: أحمني يارب وجنبنني وأولادي من الوقوع في عبادة الأصنام، والغرض من ذلك تثبيته على ملة التوحيد وطلب الهداية والإيمان^(٣)، ويذكر الكاشاني في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن إبراهيم عليه السلام دعا بذلك لما علم أن عهد الله الإمامة لا ينال الظالمين، والظلم هنا هو الشرك لقوله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فلما علم إبراهيم أن عهد الله لا ينال عابد الأصنام، قال ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

(١) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مج ٥، ص ٣٢-٣٤.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٢، ص ٢٦٨.

(٣) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٢، ص ٩٩.

طلباً للسلامة من الشرك^(١).

وقال الشريف المرتضى: ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن المراد: أفعل بي وبهم من الألفاظ ما يباعدنا عن عبادة الأصنام ويصرف دواعينا عنها، وقد يقال لمن حذر من الشيء ورغب في تركه وقويت صوارفه عنه أنه قد جنب ذلك، كما أجاب عن شبهة دعاء النبي: كيف يدعو إبراهيم عليه السلام بذلك وهو يعلم أن الله تعالى لا بد أن يفعل هذا اللطف المقوي لدواعي الإيمان؟ لأن النبي عليه السلام قد يدعو بما يعلم أن الله تعالى سيفعله على كل حال على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتذلل له والتعبد^(٢).

يتبين هنا أن خوف النبي إبراهيم عليه السلام خوف محمود نابع من الوعي بالتوحيد والحرص عليه، وقد ظهر في دعائه طلب للأمن والثبات له ولذريته مع طلبه الحفاظ من الشرك والألفاظ الإلهية الموصلة للطاعة.

٤- **الخوف العقدي (المنفي):** ينفي النبي إبراهيم الخوف من آلهة قومه، قائلاً ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٨١)﴾ (سورة الأنعام: ٨١-٨٢)، وقد بين الطباطبائي أن الآية الأولى تقرر نفي الخوف العقدي من الأصنام وآلهة قوم إبراهيم لأنها لا دليل على كونها مستقلة بالضر والنفع، وخوفهم منها خوف وهمي قائم على الشرك، بينما هم أنفسهم لا يخافون من الله الذي أثبتوا له شركاء في الربوبية بغير برهان، فحالهم يكذب مقالهم وتناقضهم واضح في دعوى الأمن مع تعريضهم أنفسهم لذلك.

ويعتبر قولهم أن قوله ﴿مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ مقيد بقوله ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ وهذا القيد ليس لإثبات مشروعية الشرك بل لنفي الشرعية عنه، ما أنزل الله على ذلك دليلاً فيقرر بذلك أن الخوف من غير الله بلا حجة لا يسوغه دليل عقلي ولا نقلي، ثم تأتي الآية الثانية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ويرى الطباطبائي أن هذه الآية في معرض كلام إبراهيم عليه السلام جواباً على سؤاله ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لا من كلام قومه ولا من كلام الله في صورة قضاء مباشر بين الفريقين إذ لا يساعد السياق على ذلك. خاصة مع ما حكاه الله من اعترافهم في قصة كسر الأصنام^(٣)، بأنهم ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٦٣)، فخلاصة تفسيره أن الآيتين معا ترسخان مبدأ عقدياً حاسماً بأن الخوف الحقيقي لا يكون إلا من الله وحده.

(١) ينظر: محمد بن المرتضى الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٢) ينظر: علي بن الحسن الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، تحقيق: دار الأضواء، بيروت، ط ٢ (١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م)، ص ٥٨.

(٣) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٠٦-٢٠٨.

وأما الصابوني فيلخص المعنى بقول النبي إبراهيم عليه السلام كيف أخاف إلهتكم التي أشركتموها مع الله في العبادة ولا تخافون الله القادر على كل شيء الذي أشركتم به بدون حجة ولا برهان؟ فأَيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أي: أين الأحق بالأمن؟ نحن وقد عرفنا الله بأدلة وخصصناه بالعبادة، أم أنتم قد أشركتم معه بالأصنام وكفرتهم بالواحد الديان، ثم يقول في الآية الثانية بأنهم لم يخلطوا إيمانهم بالشرك فهؤلاء لهم الأمن من عذابهم وهم مهتدون على هداية ورشاد^(١)

الخوف الأبوي على إسماعيل عليه السلام في قصة الذبح

يتجلى الخوف الأبوي عند إبراهيم عليه السلام في قصة الذبح، حيث يظهر البعد العاطفي والامتحان في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الصافات: ١٠٢)، ويبين الطباطبائي أن قوله تعالى يتضمن فاء فيه فصيحة تدل على محذوف والتقدير: فلما ولد ونشأ وبلغ معه السعي، أي بلغ من العمر مبلغاً يسعى فيه حوائج الحياة عادة وهو سن المراهقة، كما يرى أن قوله ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يدل على تكرار الرؤيا، وأن إبراهيم عليه السلام فهم من منامه أنه مأمور بالذبح فعبّر عن ذلك في صورة أمر ثم طلب من ابنه بيدي رأيه فيه وهو يختبره، أما جواب إسماعيل عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ فيُظهر رضاه بما أمر به أبوه في صورة التسليم لأمر الله، فقال: أفعل ما تؤمر ولم يقل: اذبحني لأن أباه مأمور بأمر ليس له إلا امتثاله وطاعته، ويأتي قوله ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ تطيب لنفس أبيه، وإظهار لعدم الجزع، مع تعليق صفة الصبر بالمشيئة الإلهية، في إشارة إلى أن الصبر ليس صفةً ذاتيةً مستقلةً في الإنسان بل هي من مواهب الله تعالى إن شاء أبقاها فيه، وإن شاء نزعها عنه^(٢).

فأجابه أباه بأحسن جواب فقال ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، أي امض لما أمرك الله به من ذبحي فستجدني إن شاء الله صابراً وهو جواب من أوتي الحلم والصبر وامثال الأمر والرضا بقضاء الله^(٣).

(١) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج ١، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج ٣، ص ٤٠.

المطلب الثاني: خوف النبي زكريا (عليه السلام) من الموالى بعد وفاته ومن العقم ثم

دعاؤه للفرج

يُمثل موضع خوف النبي زكريا عليه السلام من الموالى بعد وفاته ومن حال العقم نموذجاً مميزاً في الخطاب القرآني، يبرز خوفاً يتعلق بمستقبل الدعوة، لا يرتبط بحادثة آنية بل بمشروع الرسالة وسلامة الدين من بعده.

ويُراد من هذا النموذج تذكير المؤمنين بموضع رحمة الله بعبده الصالح زكريا ليعلموا كيف يرحم الله عباده الصالحين الذين يبتهلون إليه في أمور دنياهم وآخرتهم وكان زكريا (عليه السلام) موضع رحمة الله في قصته المثيرة للتفكير وللإيمان^(١)، فقد عبر النبي زكريا عليه السلام عن خوفه من خلال نموذجين:

١- خوفه على الدين من الموالى بعد وفاته: ظهر الخوف في دعائه فذكر الله تعالى حاله وقال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبَّ شَقِيًّا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ (سورة مريم: ٤-٥)، في هذا السياق يقدم النبي زكريا (عليه السلام) دعاءً مركباً يجتمع فيه ضعف السن وعقم المرأة وقلق على مستقبل الرسالة، فيطلب ولداً من صلبه يكون ولياً يرثه ويرث من آل يعقوب ويسير على خطه الرسالي، فسر الزمخشري الآية بأن موالى زكريا هم عصابة إخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل، فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وألا يحسنوا خلافته على أمته فطلب عقبا صالحاً من صلبه يقتدي به في إحياء الدين وترسم مراسمه من بعده، أو بمعنى آخر: خاف أن يولي بعده مواليه وقد قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين، وكثر تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائه، فسأل ربه أن يقويهم ويظهرهم بولي يرزقه، وقيل: بمعنى قدامي أنهم درجوا ولم يبق منهم من يؤثق به^(٢).

وقد ذهب الطبائبي أن المقصود بالموالى هم عمومته وبنو عمه ومن في حكمهم من العصابة، وقيل: هم الكلالة أو الورثة، أي من يكون بعد الرجل من غير أولاده من صلبه، والمراد أنه (عليه السلام) خاف تولي الموالى بعده وكان خائفاً أن يرثوه وأن لا يكون له عقب^(٣) كما يذكر فضل الله بأن التعبير في الآية لا يسمح باستحالة الخوف من مجرد تركه أو عدم وجود الوارث، فإن الكلمة توحى بأن الخوف من أمر يتعلق بهم ويتصل بساحته ومستقبل دعوته وليس من الطبيعي أن يكون مصدر خوفه مجرد تركه وحده فذلك لا يتناسب مع ما يُعول عليه من الاستجابة لطلب الولد من صلبه في سنه المتقدمة الذي يجعل تحقيق ذلك عبر الوسائل الطبيعية امراً

(١) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ج ١٥، ص ١١.

(٢) ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٤، ص ٦.

(٣) ينظر: محمد حسين الطبائبي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٨.

مستحيلاً بعد ثبوت عقم امرأته، وهذا ما يجعل المسألة صعبةً أو مستحيلاً على مستوى الوضع الواقع، فطلب زكريا (عليه السلام) بقوله ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أنما يوحي بأن المسألة لا تتصل بالحالة الطبيعية بل بالحالة الغيبة التي لا سبب فيها إلا للقدر الإلهية المباشرة ﴿يَرْثِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ (سورة مريم: ٦) قد يبرز مسألة الرغبة في الولد ليكون امتداداً للخط الرسالي الذي يدعو الناس إلى الله ويعمل ويجاهد في سبيله ولتستمر به الرسالة في روحه وفكرة وعمله، لا كمسألة وراثية مادية فقط ولا من جهة أن الأنبياء لا يورثون المال ولا من جهة مشكلة من يملك المال إذ كان من الممكن أن يتصدق به إن كان همه مالياً، بل يراد من كلمة «ولياً» الإشارة إلى خواصه العائلية وكونه وارثاً من صلبه، وهو ما يؤيده نظير الآية في سورة آل عمران، حيث ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (سورة آل عمران: ٢٨) فقد اقتصر على لفظ «الذرية الطيبة» ولم يلحقها بكلمة الإرث لأن تختزن في مدلول (الذرية) يحتوي بذاته معنى الورثة، إذ الذرية وارثة للأب في الأصل^(١)

كما يفسر الفيض الكاشاني الآية بمعنى خوف زكريا (عليه السلام) بعد موته ألا يحسنوا خلافته على أمته، ويبدلوا عليهم دينهم بعد نظام الإيمان^(٢)، وأضاف النيسابوري أن الموالى الذين خافهم زكريا (عليه السلام) هم الذين يخلفونه بعده، خاف من ولايتهم وسوء خلافتهم بعده، في تدبير شؤون الناس أو في المال أو في القيام بأمر الدين، وصيانة الأمة من الزيف والانحراف^(٣).

ويتبين من وجهة نظره (عليه السلام) أنه خاف على مستقبل الرسالة من هؤلاء الموالى الذين يأتون بعده ويرثونه وهم ليسوا على المستوى الكافي من المسؤولية ليرك لهم الأمر فيفسدوا هؤلاء ما استطاع الأنبياء والأوصياء من آل يعقوب إصلاحه. فبدل الخوف التربوي إلى دعاء صادق يطلب فيه من الله تعالى ذرية طيبة يقيم بها أمر دينه ويدفع به البلاء عن أمته، فيصبح خوفه دافعاً تربوياً وسبباً لدعاء يجيبه المولى ويرزقه ولياً وارثاً لعلمه ودعوته.

٢- خوفه من العقم ودلالته في سياق الإيمان والمعجزة: يوضح الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿وَكَاَنَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أن «العاقرة» هي المرأة التي لا تلد يقال امرأة عاقرة لا تلد ورجل عاقرة لا يولد له ولد، وقد ينظر في التعبير بقوله (عليه السلام) إلى دلالة على أن امرأته مع كونها عاقرة جازت حين الدعاء سن الولادة^(٤)، فتجاوز الخوف الطبيعي من العقم إلى خوف من انقطع الأسباب وانقضى الأمل في ظاهره أمراً مستحيلاً، إلا أن وقوعه بعد ذلك بإرادة الله سبحانه

(١) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ج ١٥، ص ١٥-١٦.

(٢) محمد بن المرتضى الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٤٥.

(٣) ينظر: الحسن بن محمد النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ج ٤، ص ٤٩٦-٤٧١.

(٤) ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٩.



يُصور في القرآن كنوع من الإعجاز وقدرته الإلهية، إذ يهب للنبي زكريا (عليه السلام) ولدٌ من نفس زوجته، فيستجيب الله لدعائه ويصلح فيها الحال للإنجاب، كما وقع لسارة زوجة إبراهيم (عليه السلام) فوهب له إسحاق، فيُصبح مثلاً حياً على أن قدرة الله تتجاوز السنن الطبيعية، وتبقي الفرج متاحاً أمام كل مؤمن، ما دام يقدم دعاءه بيقين وبقينه بالقدر وثقته في وعد الله.

المطلب الثالث: نموذج خوف النبي موسى عليه السلام

يتخذ الخوف في قصة النبي موسى عليه السلام طابعاً مغايراً لما ورد في النماذج السابقة، إذ يرتبط بسياق المواجهة الرسالية وما يكتنفها من تحديات، وظروف استثنائية تتصل خاصة في لحظة إظهار الحق في مقابل مظاهر التلبيس والتخيل، قال تعالى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (سورة طه: ٦٧)، وقد يُذكر أن هذا الخوف ليس من قبيل الشك في ذات الأمر، ولا يعني أن موسى (عليه السلام) شك في صدق المعجزة، وإنما رأى من قوة التلبيس والتخيل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم يمعن النظر، فخاف أن يُخدع الناس، فأمنه الله تعالى من ذلك وبين له أن الحجة ستتضح للقوم^(١)، بقوله ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه: ٦٨)، فيرتبط الخوف بمقتضيات الطبيعة البشرية إذ رأى شيئاً هائلاً^(٢).

قليل خاف لما يعرض من الطباع البشرية عند رؤية ما يخشى منه وقيل إنه خافه أن يُفتتن الناس قبل أن يُلقي عصاه أو أن سحرهم كان من جنس ما أراه في العصا، فخاف أن يلتبس الأمر على الناس فلا يؤمنوا فأذهب الله تعالى خوفه بما بشره بالظفر والغلبة^(٣).

وعلى هذا الأساس، فإن هذا اللون من الخوف يعكس بعداً رسالياً يرتبط بوظيفة التبليغ، ويكشف عن وعي النبي بمقتضيات الموقف وحسه بما قد يطرأ على الناس من شبهة، بما يجعله منسجماً مع مقام النبوة ومتقاضياً لاحترام حقيقة الإيمان وحرص النبي على أن يتبين للناس الفرق بين الحق والباطل، فيخرج الخوف من دائرة الخوف الجسدي ويدخل في حيز الخوف من إخفاق الدعوة، وضياع الحجة بما يجعله من أشكال الخوف المشروع، الذي يُعد من أسرار الهم بالدعوة لا نقصاً في العصمة.

ويلاحظ أن الخوف في قصة النبي موسى عليه السلام لم يرد على نسق واحد، بل تنوع بحسب طبيعة المواقف؛ فكان تارة مرتبطاً بطرف يقتضي الحذر، وتارة متصلاً بمتطلبات المواجهة، كما في مواجهة السحرة ورؤية العصي والحيال كأنها حيات تسعى، ثم ما يعقبه من تلميم رباني، وقول الله له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه: ٦٨) يعكس البعد الإنساني في شخصية النبي وطبيعته البشرية لا تنفك عن الأنبياء، وإنما تنتقل في مسارها بتأثير التربية

(١) علي بن الحسين الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، ص ١٠٦.

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٥٣٠.



والخوف التعبدي المرتبط بعلاقة العبد بربه، والخوف العرضي الطارئ الناتج عن توقع المستقبل، وهو ما يدل على أن الخوف يؤدي وظيفة تربوية وإيمانية إذا انضبط في إطاره الصحيح.

٢- أظهرت نماذج خوف الأنبياء (إبراهيم، وزكريا وموسى) عليهم السلام، أن هذا الخوف يرتبط بطبيعة المواقف التي واجهوها، فجاء منسجماً مع مقتضيات الحال دليلاً واضحاً على أنه لا يتنافى مع مقام النبوة، بل يندرج ضمن البعد الإنساني، ويؤدي دوراً تربوياً في ترسيخ التوكل وتعميق الإيمان.

التوصيات:

- ١- الاهتمام ببيان الفروق بين الألفاظ القرآنية المتقاربة، لما لها من أثر في فهم النص واستنباط الأحكام.
- ٢- جمع الآيات القرآنية التي يتجلى فيها الخوف والخشية، وتحليلها دلاليًا وتربوياً لاستنباط معالم أخلاق الخوف في التصور القرآني.
- ٣- دمج التحليل الدلالي مع المنهج النفسي في دراسات لاحقة تتناول العواطف في الخطاب القرآني، ولا سيما في التجربة النبوية.
- ٤- الإفادة من المفاهيم القرآنية في بناء برامج تربوية تعزز التوازن بين الخوف والرجاء.
- ٥- ربط الدراسات القرآنية بالواقع المعاصر خاصة في معالجة القلق والخوف النفسي من منظور إيماني.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ونسأله الأوفق

المصادر والمراجع

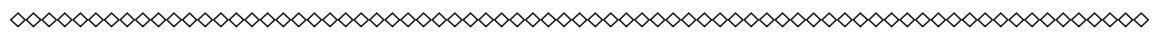
القرآن الكريم

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط ١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ هـ)، التحرير والتنوير، تونس: دار التونسية للنشر والتوزيع (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).

ابن فارس، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ.



إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ب- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت ٦٩١هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م،

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد (ت ١٢٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامس التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

الشريف المرتضى، علي بن الحسن (ت ٤٣٦هـ)، تنزيه الأنبياء، تحقيق: دار الأضواء، بيروت، ط٢ (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م).

الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١ (١٤٢٨هـ - ٢٠١٣م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الصابوني، محمد علي هـ (ت ١٤٤٢هـ)، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٢هـ.

الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار المرتضى بيروت.

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، القاهرة، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عبد الباقي، محمد فؤاد (ت ١٢٨٨هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ط. دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- العسكري، أبوهلال الحسن بن عبد الله (ت ٤٠٠هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، ط ١، القاهرة ٢٠١٤.
- الغرناطي، محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ.
- الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- فضل الله، محمد حسين (ت ٢٠١٠م)، تفسير من وحي القرآن، ط ٢، دار الملاك، بيروت لبنان.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن ومحمد رضوان وخالد العواد ومحمد معتز كريم، مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- الكاشاني، محمد بن المرتضى (ت ١٠٩١هـ)، الصافي في تفسير القرآن، تح: السيد محسن الحسيني الأميني، ط ١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤١٩هـ.
- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، ط ١ (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م) منشورات الفجر، بيروت - لبنان.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (٧٢٨هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الهمداني، عبد الرحمن بن عيسى (ت ٣٢٠هـ)، الألفاظ الكتابية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٥م.